الأهرام

المصدر: الوطن القطرى

التاريخ : ١٢ مايو ٢٠٠٤

محترفون لا هواة

كشفت الصور والمعلومات التي تسربت عما حدث في سجن «أبو غريب» في العراق عن «فضيحة» تستحق أن يقال عنها إنها «فضيحة أول القرن الحادي والعشرين» ومهما امتد بنا الخيال في آفاق الفضائح التاريخية الكبرى، فسوف تبقى فضيحة أميركا في المقدمة وعلى رأس القائمة، وذلك لان أميركا عندما دخلت العراق كانت ترفع راية الحضارة والمبادئ الإنسانية الرفيعة. فأين هي الحضارة والاخلاق في اغتصاب النساء وتعرية الرجال واهانتهم بالصورة لتي أصبحت معروفة في شتى أنحاء العالم الآن؟!

لقد عرفت الإنسانية كثيرا من الجرائم التي وقعت قديما وحديثا، ويكفي ان نتذكر «النازية» و«الصهيونية» حتى تنفتح أمامنا صفحات التاريخ وتكشف لنا جرائم ثابتة لا شك فيها. وقد عانت أوروبا من النازية، أما نحن فقد عانينا من الصهيونية. وتاريخ المذابح التي تعرض لها العرب على يد قادة الصهيونية ابتداء من «بيغن» إلى «شارون» تاريخ طويل مليء بالآلام. وقد كان زعماء الصهيونية يحرصون على إذاعة ما حدث في هذه المذابح بالتفصيل الدقيق من أجل ان يزرعوا الخوف العميق في نفوس العرب، بحيث يتحول الإنسان العربي إلى إنسان خائف من إسرائيل ومرتعد منها على الدوام، فأمن إسرائيل، كما يتصور قادتها المتعصبون، قائم أساسا على تحويل العرب إلى بشر مهزومين يسارعون إلى الفرار كلما سمعوا اسم «إسرائيل»، هذا هو الأمن الإسرائيلي كما تفهمه الصهيونية، وكما تسعى إلى تحقيقه في الواقع عن طريق المذابح وتفاصيلها المفزعة.

والمذابح الصهيونية ضد العرب هي سلسلة متصلة لا تتوقف منذ قيام إسرائيل إلى الآن، ففي سنة ١٩٤٨ وقعت مذبحة «دير ياسين» وفي سنة ١٩٥٣ وقعت مذبحة «قبية»، ثم كانت مذبحة «كفر قاسم» سنة ١٩٥٦ ثم مذبحة «صابرا وشاتيلا» سنة ١٩٨٢، وما تلا ذلك كله من مذابح مستمرة في «جنين» و«نابلس» و«الخليل» و«غزة» منذ حوالي أربع سنوات وحتى الآن، ولم تتغير العقيدة الصهيونية القائمة على اعتبار «المذابح» ضد العرب هي أفضل وسيلة لتحقيق أهداف إسرائيل غير المشروعه فوق الاراضي العربية.

ولن تتراجع إسرائيل عن عقيدتها في المذابح وجدواها بالنسبة لها، إلا إذا استطاع العرب، كل العرب، ان يعاملوا إسرائيل على أساس مبدأ «العين بالعين والسن بالسن»، أي ان كل قتيل عربي سوف يقابله قتيل إسرائيلي بنفس قيمته وأهميته، والحق ان العرب لا يزالون حتى الآن في الموقف الأضعف والأكثر اغراء بمواصلة العدوان عليهم دون خوف من أي عقاب.

تاريخ الإنسانية اذن مليء بالفضائح، والمذابح هي نوع من الفضائح، وقد عانينا منها كثيرا على يد إسرائيل، ولكن فضيحة أميركا في العراق تبقى هي الأكبر والأكثر استثناء بين كل الفضائح الأخرى، وذلك لان أميركا جاءت إلى العراق ومعها شعار براق هو تحقيق الديمقراطية وتحرير العراقيين من نظام كان يهينهم ويعذبهم ويزرع فيهم الخوف وينزع عنهم أي احساس بالكرامة. وها هي أميركا تمارس ضد العراقيين كل ما ادعت انها جاءت لتحريرهم منه، بل وتمارس ما هو اسوأ، ولا شك ان ما جرى في سجن «أبو غريب» وكشفت عنه أجهزة الاعلام الأميركية نفسها قبل غيرها هو من أحط وأسفل ما عرفته الإنسانية من أساليب التعذيب والإهانة والتمثيل بالبشر ومعاملتهم معاملة الكلاب الضالة.

وأي محاولة لتبرير ما جرى أو التخفيف من آثاره هي محاولة باطلة، وليس صحيحا ان ما حدث هو عمل افراد محدودين تجرى محاسبتهم ومحاكمتهم، فالذي جرى هو عمل من أعمال المحترفين الذين لديهم تعليمات صريحة بان يقوموا بما قاموا به، وقد اعترفت إحدى المجندات الأميركيات واسمها «سابرينا هارمان» بأنها قد «تلقت أوامر عليا من رؤسائها بتحطيم معنويات المعتقلين العراقيين لجعلهم ينهارون ويعترفون بالمعلومات التي يملكونها خلال التحقيق معهم»، واشارت المجندة إلى ان جهاز الاستخبارات العسكرية الأميركية كان على رأس الأجهزة التي أصدرت هذه التعليمات، فما حدث إذن كان مقصودا، وقد صدرت به تعليمات رسمية، وقام به محترفون يعرفون ماذا يفعلون، ولم يقم به هواة مصابون بالسادية، أي بمرض الرغبة في تعذيب الآخرين والاستمتاع بهذا التعذيب.

■ **رجاء النقاش**

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية